الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانية: "دراسة في وظائف وأدوار الاستشراق الألماني في الربع الأخير من القرن التاسع عشر"

*أمجد أحمد الزعبي**

ملخص

تجلّى التوسع الاستعماري الغربي على حساب الشرق، في صنع أُطر فكرية استشراقية تحشر في محيطها ثقافات الأمم والشعوب التي خضعت للاحتواء، ووهم التميّز الذي رُسم للغرب صورة من ادعاءات العقلانية والموضوعية والعلمية والحكمة مقابل النقيض الذي يمثله الشرق اللاعقلاني المتأخر. فالعلاقة التي تربط التغلغل الاستعماري بالاستشراق علاقة جدليّة، أُستندت – بدرجة كبيرة– إلى الدور الرسولي المتعالي للأمة الألمانية وحقها الطبيعي في بناء الدولة القومية وقيادة العالم. فالربط ما بين التغلغل والاستشراق يؤكد تأثيرهما المتبادل في المرحلة الزمنية المحددة في هذه الدراسة بصرف النظر عن الدور الإيجابي الذي اضطلع به في المحافظة على التراث العربي الإسلامي من جهة، وخدم الطموحات الألمانية التوسعية من جهة أخرى.

الكلمات الدالة: استشراق، تغلغل، المسألة الشرقية، التاريخ العثماني – الألماني.

المقدمة

شكلت حالة الجزْر التي مرّت بها الدولة العثمانية طرحًا جديدًا للمسألة الشرقية، وتسابقت الدول الأوروبية الاستعمارية فيما بينها للحصول على الحصة الكبرى منها؛ فغياب الدولة الألمانية الموحدة قد أبعد مرحليًا الألمان عن أن يكونوا فاعلين في المسألة الشرقية، فقد كانت توجهاتهم الأولى واهتماماتهم في الشرق ارتبطت بنواحٍ علمية دينية تبشيرية أكثر من كونها استعمارية من جانب بناء الدولة وترسيخ أقدامها على مستوى القارة الأوروبية؛ لذا أشادت معظم الدراسات بحيادية المستشرقين الألمان، وعُدّ الاستشراق الألماني منزها عن تلك الأطماع على اعتبار أنه لا يوجد للدويلات الألمانية تطلعات استعمارية في الشرق تتطلب موقفا فكريا من المستشرقين. إلاّ أنه بعد الوحدة وتشكل الدولة الألمانية اعتبرت السياسية الألمانية وسط أوروبا مجالاً حيويًا لنشاطها وهو ما عرف تاريخيًا التوجه الألماني نحو الشرق **(Der Deutsch Drang nach Osten)** وركزت إستراتيجيتها على المصالح والمشاريع الاقتصادية بالدرجة الأولى، وتمحورت اهتماماتها بالتغلغل في الدولة العثمانية داخلَ مفاصل اقتصادها والسيطرة غير المباشرة سياسيا وثقافيا عليها.

وتتمحور أسئلة الدراسة حول العلاقة الجدلية بين الاستشراق والتغلغل الألماني في الدولة العثمانية من حيث الأدوار والوظائف، وهي:

1. ما العلاقة بين الاستشراق والتغلغل السياسي والاقتصادي؟
2. ما الذي دفع الرأسمالية الألمانية تجاه الدولة العثمانية؟
3. ما الرابط بين هذا التوجه السياسي الاقتصادي وأدبيات الاستشراق؟
4. هل خدم الاستشراق المشروع الاقتصادي والسياسي للدولة الألمانية من جهة والدول الغربية من جهة أخرى؟
5. هل كان الاستشراق الألماني كما تصور البعض بريئا أم كان منخرطا بالمشروع الإمبريالي للإمبراطورية الألمانية؟
6. هل سارت ألمانيا على النمط نفسه الذي سارت عليه الإمبراطوريات الاستعمارية بتسويغ الفتح والتوسع برسالة الرجل الأبيض وتمدين الشعوب المتخلفة؟ وما الذي يؤهل الألمان للقيام بهذا الدور؟.

تهدف الدراسة إلى الإجابة عن هذه الأسئلة وبيان العلاقة الجدلية بين الاستشراق والتغلغل استنادًا إلى **فرضية البحث** التي مؤدّاها: كلما نمت المصالح والأطماع الاستعمارية الألمانية نمت وازدهرت الدراسات الاستشراقية، مما يعني أن الاستشراق الألماني كان كسائر المدارس الاستشراقية الأوروبية الأخرى خلال مرحلة الدراسة؛ أي الربع الأخير من القرن التاسع عشر على الأقل، الذي

* كلية الآداب والفنون، جامعة فيلادلفيا، الاردن. تاريخ استلام البحث 2017/6/12، وتاريخ قبوله 2018/5/31.

© 2019 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

تداخلت وتشابكت فيه الأدوار والرؤى ما بين العلمي والموضوعي والاستعماري. فقد أسهمت على سبيل المثال كتابات الرحالة ومذكراتهم ودراساتهم عن الشرق في تصعيد الطموح الاستعماري الألماني، ودخلت هذه الكتابات بطرق مباشرة وغير مباشرة في مستويات التعليم الألماني بكل مراحله لتعمل على تشكيل صورة نمطية للدولة العثمانية في ذهنية صنّاع القرار والتجار الألمان ليكون التحالف الألماني العثماني ثمرة هذا التوجه. لذا قامت المنهجية الأساسية للبحث على المنهج التاريخي والتحليلي بإبراز العلاقة بين المتغيرين في فرضية البحث التغلغل والاستشراق في إطار الوظائف والأدوار.

تكمن **أهمية هذه الدراسة** في أنها تغطي جانبا لم يطرقه الباحثون حول الاستشراق الألماني؛ ألا وهو التمييز بين مرحلتين من هذا الاستشراق قبل الوحدة وبعدها، وذلك بتطبيق المقولات الأساسية لفكر الاستشراق: الرسالة الحضارية المتفوقة القائمة على رسالة الرجل الأبيض. والبحث عن الحق التاريخي في العالم العربي والإسلامي استنادا إلى الإرث اليوناني والروماني وحتى الصليبي. ومن ثم الصورة النمطية للشرق الغارق في الكسل والخمول واللذة. الجدّة في الموضوع ربط التغلغل بالاستشراق وهو ما لم يعالج كموضوع ووحدة واحدة بالرغم من وجود كم كبير حول الموضوعين كل على حدة.

كلمات مفتاحية: استشراق، تغلغل، المسألة الشرقية، التاريخ– العثماني الألماني.

أولا. الاستشراق والتغلغل: تداخل المفاهيم.

أسهم الاستشراق إسهامًا كبيرًا في إعادة صياغة الشرق، وإخراجه في صورة نمطية ساعدت كثيراً في تكوين مخيلة الإنسان الغربي عن الإسلام والمسلمين؛ فعملية ربط التغلغل بالاستشراق تأتي ضمن رؤية قائمة على التداخل الكامل ما بين المفهومين مع تجنب الجدل الدائر حتى الآن حول الاستشراق وارتباطاته بالاستعمار، فمفهوم التغلغل يماثل معناه اللغوي الاختراق (المعجم الوسيط) الذي أعني فيه إستراتيجية الدولة الألمانية الاستعمارية الممنهجة والبطيئة لاختراق الدولة العثمانية اقتصاديا وسياسيا وثقافيا، وبناءً على ذلك يقع المفهوم ضمن السياق الذي نعالجه في هذا البحث مترابطا مع مفهوم الاستشراق.

لذا فالاستشراق وفق هذا التصور هو"علم الشرق أو علم العالم الشرقي، أي البحث في علوم الشرق وعقائده وآدابه، وإعداد الدراسات فيها (بارت، 1967) "خدمةً للمصالح بالدرجة الأولى، فهو أحد أبرز أدوات الغرب للهيمنة على الشرق، وفق حالة من الوعي الجغرافي السياسي الذي يقسم العالم إلى قسمين غير متكافئين: الشرق والغرب؛ طارحًا فكرة التفوق والاستعلاء. فهو أسلوب تفكير يقوم على التمييز الوجودي والمعرفي بين الشرق والغرب، وهذا ما يتصل بالتقاليد الأكاديمية، ويستند إلى عناصر تاريخية ومادية، وهناك تبادل إلى حد ما بين المعنى الأكاديمي والمثالي (سعيد، 2006). وكلّ ما يعنينا هنا المعنى الخاص لمفهوم الاستشراق الألماني الذي يعني الدراسات المتعلقة بالشرق الإسلامي في لغاته وآدابه وتاريخه وعقائده وتشريعاته وحضارته بوجه عام (أبو خليل، 1998)؛ تلك التي كوّنت سلسلةً من المصالح يتم تحقيقها والمحافظة عليها والاستعانة بها بجميع الوسائل للسيطرة على الشرق؛ السلطات السياسية المتمثلة بالمؤسسات الاستعمارية، والفكرية المتمثلة بالعلوم السائدة، والسلطة الأخلاقية المتمثلة في الرؤية الثقافية المتفوقة على الآخر (سعيد، 2006).

كان الاستشراق جزءاً من قضية الصراع الحضاري وشكّل الخلفية الفكرية له في صياغة التصورات والمواقف الأوروبية عن الإسلام (زقزوق، 1997)، فالمخاوف الأوروبية من الخطر الإسلامي المزدوج: خطر الفتوحات وخطر التحول إلى الإسلام دفعتهم إلى دراسة القرآن والنصوص الإسلامية، بهدف إنقاذ أنفسهم من الخطر الإسلامي، وتحويل المسلمين إلى المسيحية. وبقي مصطلح الاستشراق ملوثًا، بالرغم من الجهود الكبيرة التي بذلت لتنقيته والبحث عن بدائل تخرجه من أزمته الطويلة، وخاصة تلك المحاولات بعد المؤتمر الدولي التاسع والعشرين للمستشرقين، الذي عقد في باريس 1973م بمناسبة مرور مئة عام على أول مؤتمر للاستشراق في باريس سنة 1873م، حيث صدر عن المؤتمر قرار بإلغاء مصطلح الاستشراق وكلمة مستشرق (لويس، 1994)، بالرغم من المحاولات السابقة للمستشرق هرتمان (Martin Hartmann)(1851–1918م) للتخلص من مصطلح استشراق واستبداله بمصطلح الدراسات الإسلامية أو علم الإسلام (بيطار، 1992) إلاّ أن التصوير المعاكس كان محاولات لإعادة صياغة أو كتابة الشرق، والتخلص من عقدة المفهوم بمعنى المحاولة لتغييره وفقا لأسس فكرية ظلت تلبس لبوسا غربيا استعلائيا على نفس النمط القديم للاستعمار (القويزاني،2004).

فالانطلاق من مقولات ذات قالب جامد هي ضرب من الوهم، سواء تلك التي تقوم على وصف الاستشراق الألماني بالموضوعية والعلمية استنادًا إلى عصر التنوير وما قبل الكولونية الألمانية وسحب هذا التعميم على كامل الاستشراق الألماني، فإذا أخذنا ما قاله الأديبُ الألماني غوته(1832–1749م) **(Johann Wolfgang von Goethe)** مثالا: "إذا أردنا المشاركة في عملية خلق

العقول النيرة فلا بد لنا من التمثل بما هو شرقي، فالشرق لن يأتي بنفسه" (غوته عند: بيطار،1992). أو تلك التي وصفته بأنه محاولات تجذّرت بالسيطرة على الآخر ونهب منظم لخيراته خلال مرحلة الاندفاع الألماني في أواخر القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين، فالتغير في الأساليب والمناهج والوسائل الاستشراقية تأثر بميزان القوة والضعف والمصالح المتفاوتة بين أطراف الصراع (الساموك،2003؛ حميش،1991؛ عمايرة،1992؛ سعيد،2006). فالمنظومة الاستشراقية بكل صورها وتعددها لم تكن نسقاً واحداً، وإنما ارتبطت بطبيعة تطور الرايخ الألماني على الصعيد الداخلي والمواقف الأساسية في السياسة الخارجية، بحيث دفعت الكُتّابَ ورجالَ الدين والمستثمرين للهجرة إلى الدولة العثمانية لأهداف مختلفة (Fuhrmann, 2006).

ثانيا: تاريخ الدارسات الاستشراقية الألمانية:

دخلت ألمانيا حلبة الصراع والتنافس بوقت متأخر ومارست دورها الاستعماري بسلطات مباشرة اقتصادية وسياسية وعسكرية على النمط البريطاني والفرنسي نفسه؛ وارتبط هذا الدور بتطور القوة والهيمنة الألمانية. فألمانيا لم تضمر فقط الطموح الاستعماري في الاستحواذ والسيطرة، ولكنها مارسته بالفعل من خلال السيطرة غير المباشرة على مفاصل الدولة العثمانية، وبناء عليه فقد جمعت الباحثين وعلماء الآثار وطورت علاقات مميزة مع السكان المحليين، وتعلمت اللغات التي يمكن أن تستفيد منها في التوسع الاستعماري (Hallgarten, 1963).

وتعود جذور الاهتمام الألماني بالاستشراق إلى الحملة الصليبية الثانية 1147م، فلا يمكن فصله عن إطار بيئته الأوروبية وطبيعة فكر العصور الوسطى، فقد شارك الألمان في الحروب الصليبية وتأثروا بالمصطلحات التي استخدمت في ذلك العصر، ومنها مثلا قيام جودفري فون فاتربو **(G.Von Waterbo)** – وهو سكرتير الأباطرة الألمان في القرن الثاني عشر– بتقديم صورة وصفية لمحمد (ص) في كتابه تاريخ العالم. وكذلك كتب فولفرام فون آشنباخ 1170–1220م الأديب الألماني **(Wolfram Von Eschenbach)** قصيدة بعنوان (فيلهلم) حاول فيها أن يقدّم وصفا لمعركة بين السراسنة – المسلمين– والفرنجة، ويضفي على المعركة فضائل الفروسية من كلا الطرفين، وهي صورة تناقض الواقع في تلك الفترة حيث يقدم فتاة جميلة مسلمة، تصبح مسيحية باسم جيبورغ **(Gyburg)**تنادي بالتسامح (جرنوت، 1974).

بدأ الاهتمام بالإسلام ديناً وحضارةَ وشعوباً قبل عصر التنوير، مع كرسي الأستاذية الذي أنشئ عام 1521م، للدراسات العبرية وكان يشغله غالبا رجال لاهوت اهتموا باللغة العربية، وكان فيلهلم شيكارد **(Wilhelm Sheikard)** الذي شغل هذا الكرسي 1619–1635م، قد تعمق في دراسة اللغة العربية وقام بتأليف العديد من البحوث في مجال العربية أهمها: الإله الفريد في العالم الإسلامي والفردوس اليهودي الإسلامي (جرنوت، 1974)، لتتغير الصورة الأوروبية عن الإسلام منذ نهاية العصور الوسطى، حيث أدرك الأوروبيون أن السبق الثقافي أصبح يتحول لصالحهم، فقد تهكم مارتن لوثر **(Martin Luther)**1483–1546م، على تصورات القرون الوسطى حول الإسلام، وقدم لتأييد وجهة نظره نماذج سماها)خرافات الأوربيين وجهالتهم حيال الإسلام)، ولكن في ضوء حصار الجيوش العثمانية مدينة فينا 1529م، تغيرت اللهجة لتصبح أكثر عدائية وحدّة، فقد قال: "الأتراك عقوبةٌ ربانية عادلة للمسيحيين بسبب خطاياهم وذنوبهم. البابا والإسلام يشكلان من حيث الجوهر العدوين اللدودين للمسيح وللكنيسة المقدسة، ولكن إذا كان الإسلام يمثل جسد المسيح الدجال فإن البابا هو رأسه" (لوثر عند: جورافيسكي، 1996). كان تأثير لوثر كبيرا في الأوساط الألمانية، فقد أصبحت "الإسلامية "بمثابة كلمة تستخدم للحطّ من شأن الآخر والتأكيد على رجعيته، فقد رأى البروتستانت في الإسلام عملا دون إيمان، أما الكاثوليك فقد اتهموا الإسلام في في أثناء مجادلاتهم مع البروتستانت بأنه يمثل الإيمان دون عمل (جورافيسكي، 1996).

كان أول المستشرقين الألمان الذين اهتموا باقتناء المخطوطات العربية المستشرق بوستل **(W.Postel)**الذي أتقن العربية والتركية وألف كتابا في النحو، وقد قام بوستل ببيع المخطوطات التي حصل عليها إلى مكتبة جامعة هايدلبرج **(Heidelberg)** وأصبحت هذه المخطوطات الأساسَ الذي بنيت عليه دراسة اللغات الشرقية في ألمانيا في مهدها. وكان يعقوب كريستمان **Christmann** (1554–1613م) الذي تعلم العربية من كتاب النحو لبوستل، أولَ من اقترح تشكيل كرسي خاص في جامعة هايدلبرج للدراسات الشرقية وخاصة العربية، وكان ذلك سنة 1590م، الذي لم ينفذ حتى عام 1609م، وقام بترجمة كتاب الفرغاني (ت861م) في الفلك عن العبرية إلى اللاتينية، ووضع الراهب جرمانيوس معجما عربيا – لاتينيا ظل مستخدما حتى منتصف القرن التاسع عشر بالرغم من رداءته العلمية، وترجم القرآن الكريم إلى اللاتينية. وعمل يوهان هوتنجر (1620–1667م) على وضع فهرسٍ للمخطوطات الشرقية ونشره في هايدلبيرج (فوك،1978؛ المطوري،2015).

استمرت تلك الأعمال بطبيعة دينية لاهوتية بالدرجة الأولى فمفهوم (مستشرق **Orientalist**) لم يظهر في أوروبا إلاّ في نهاية القرن الثامن عشر. فقد ظهر أولاً في إنجلترا عام 1779 م وفي فرنسا عام 1799م، وأدرج مفهوم (الاستشراق) في قاموس الأكاديمية الفرنسية عام 1838م. وتماشيا مع عصر التنوير والحركة الرومانسية بدأت في القرن الثامن عشر صورة جديدة للشرق تشق طريقها وتكسب الدراسات العربية طفرة أدت بها في نهاية المطاف إلى الانفصال عن علوم اللاهوت، وقد تزعم هذا الجيل من المستشرقين الأوائل: شولتنز **(Albert Schlntens) (1686 - 1750)**، يوهان يعقوب رايسكه **(Johann Jakob Reiske)** (1774–1716م) اللذين كان لهما فضل كبير على دراسة اللغة العربية وفصلها عن اللاهوت واللغة العبرية. وفي توبنجن فريدريش شنور **(Schnor (Friedrich** (1742–1822م) الذي قام بعد دراسة اللاهوت بدراسة العربية على يد رايسكه في ليبزج (المطوري، 2015).

أصبحت أقسام الاستشراق في الجامعات الألمانية المصدر الرئيس لإنتاج الدراسات المطلوبة عن العرب والمسلمين، وأساس تدريب السياسيين والإداريين الذاهبين إلى الشرق، ممّا خلّفَ تراثاً متراكماً من وجهات النظر والأحكام المسبقة بشأن العرب والإسلام، فأطروحات المستشرقين الرواد صاغت وشكّلت الفهم الغربي والألماني على كافة المستويات. ومما يثير الارتباك ذلك الكمُّ الهائل من الدراسات والأبحاث العلمية ذات المستوى العلمي الرفيع والدقيق عن تراث الإسلام. ففي القرن التاسع عشر تنوعت موضوعات الاستشراق لتكون أكثر تخصصاً، وتوسعت الاختصاصات العلمية على حساب الدراسات اللاهوتية (جرنوت، 1974).

وقد تبلورت خلال تلك المرحلة رؤية استشراقية قائمة على البحث عن الحقيقة، وطغت الصفة العلمية بوضوح أكثر من ذي قبل في مجال الدراسات اللغوية ودراسات اللغة العربية خاصة، ولهذا ظل المستشرقون العاملون في الصعيد اللغوي بمنأى عن الاتهام، بينما اتهم المستشرقون العاملون في صعيد الدراسات الإسلامية بسوء النية في أحوال كثيرة (بارت،1967). وتميّز الاستشراق الألماني عن غيره من البلدان الأوربية بالاهتمام بالدراسة المقارنة للغات السامية كالآرامية والعبرية. وأهم عمل في هذا المجال هو عمل كارل بروكلمان (1868 – 1956) الرائد" الأساس الكامل في مقارنة اللغات السامية" الذي لم يكتب مثله حتى الآن بهذا التفصيل الدقيق. فالاستشراق الألماني لم يكن مرتبطاً بالاستعمار المباشر كالاستشراق الفرنسي أو الإنكليزي أو الهولندي، فالألمان لم يستعمروا أية دولة عربية (ظافر، 1997) باستثناء الاهتمام بفكرة استيطان فلسطين، كنقطة انطلاق للنفوذ السياسي والاقتصادي والثقافي الألماني، واستطاعت جمعية الهيكل الألمانية إنشاء تسع مستعمرات في فلسطين خلال نصف قرن بهدف استقطاب آلاف الألمان والأوروبيين (محافظة، 1981).

وتجلّى ارتباط الاستشراق بالتطلعات الامبريالية الألمانية مع المستشرق كارل هينريش بيكر **(K. H Becker)** (1876–1933م) الذي عُدّ مؤسس لمفهوم الاستشراق الحديث في مطلع القرن العشرين، وفقا لنظريات علم النفس حيث طبقها على أطروحته للدكتوراة سنة 1907م التي كانت بعنوان" المسيحية والإسلام" (Herman, 2014) وهو مؤسس مجلة الإسلام الألمانية، التي قامت بدراسات استشراقية خدمت الأهداف الاستعمارية الألمانية في إفريقيا، فقد حصل الرايخ الألماني في عام 1885– 1886م على مستعمرات في إفريقيا تضم مناطق بعضاً من سكانها مسلمين، وظلت تلك المناطق تحت السيادة الألمانية حتى عام 1918م. وقد أدى ذلك إلى تأسيس معهد اللغات الشرقية في برلين عام 1887م وهو معهد مهمته تتلخص في الحصول على معلومات عن البلدان الشرقية الحالية وبلدان الشرق الأقصى وعن شعوب هذه البلدان وثقافتها (بارت،1967). يقول أوليريش هارمان **(Ulrich Hermann)**: "كانت الدراسات الألمانية حول العالم الإسلامي قبل عام 1919م أقل براءة وصفاء نّية، فقد كان كارل هينريش بيكر– وهو من كبار مستشرقينا– منغمساً في النشاطات السياسية، حتى أنه أصبح شديد الحماس لمخطط استخدام الإسلام في إفريقيا والهند كدرع سياسية في وجه البريطانيين" (هارمان، 1983؛ زقزوق،1997). فالمعرفة بالعروق المحكومة أو الشرقيين هي التي تجعل حكمهم سهلاً ومجديًا، ذلك أنّ المعرفة تمنح القوة، والمزيد من القوة يتطلب مزيداً من المعرفة، فالحركة الجدلية بين المعلومات والسيطرة المتنامية الأرباح مستمرّة على الدوام (سعيد،2006).

ثالثا. أسس الحق الألماني في تغلغلها في الدولة العثمانية.

قامت سياسة الأحلاف والتكتلات الدولية(عصبة الأباطرة الثلاثة، التحالف الثلاثي والاتفاق الودي وغيرها) خلال الربع الأخير من القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين على مبدأ مناطق النفوذ، التعويضات المتبادلة ودعم دولة لأخرى في تغلغلها واستعمارها السياسي، الاقتصادي والثقافي؛ مستندة إلى ادعاء الحق التاريخي أو الإرث التاريخي بدرجات متفاوتة، والأمثلة كثيرة حول ذلك: ادعاء فرنسا بحقها بالجزائر وايطاليا في ليبيا واسبانيا بالمغرب؛ حيث خضع الغرب لوهم الدور الرسولي المتفوق للحضارة الغربية على حساب الشرق المتأخر والخامل، وساهمت المدارس الاستشراقية في تغذية مثل هذه التوجهات، والألمان لم يكونوا بعيدين عن

مثل هذه التوجهات، بخاصة فيما يتعلق بالرسالة الحضارية للأمة الألمانية التي قامت على دعامتين: الإغريقية والصليبية. فقد سعى دعاة الحق الألماني في بناء إمبراطورية استعمارية على غرار الإمبراطورية الفرنسية أو البريطانية في البحث الدائم فيما يسمى حاليا بالماضوية أيّ محاولات إحياء الماضي وتوظيفه لخلق صورة لما كان، بربط الحضارة الألمانية بالحضارة الإغريقية أو الاستناد إلى الدور الألماني بالحملات الصليبية على المشرق.

1. الإغريقية:

اعتقد الألمان أنهم ورثة الحضارة الهيلينية، وهذه الحضارة التي اكتسحت مرة قادرة على العودة من جديد من خلال الأمة الألمانية الفتية برسالتها العظيمة المستندة إلى الفضائل الهيلينية القديمة والفلسفة الحديثة، وهي بما تمتلك من روح وثابة وإمكانات مادية وتكنولوجية مؤهلةٌ أكثر من غيرها من الشعوب الأوروبية للقيام بهذا الدور في الشرق الذي هو أرض الآباء والأجداد (**Vaterland**)؛ ذلك أنّ بريطانيا وفرنسا لا تملكان المؤهلات الكافية للقيام بهذا الدور الرسولي للحضارة، أي تمدين الدولة العثمانية بإرثها الهليني– على اعتبار أن الحضارة العربية الإسلامية ذات أصول هلينية–؛ ففرنسا التي أُذلت بالهزيمة القاسية عام 1870م أصبحت عاجزة عن مثل هذا الدور الذي اضطلعت به من خلال بناء المدارس والانتشار الواسع بين مسيحيي شرق المتوسط، لأنّ هذا الدور قارب على الانتهاء وهذا ما سرّع بالوهم الألماني بأُفُول نجم النفوذ الفرنسي في المنطقة (Fuhrmann ,2013).

غدت الكلاسيكية الإغريقية "اليونانية" السمة الغالبة للنظام التعليمي الألماني، وهي الصفة الأساسية للنخبة المتعلمة لدرجة أنّ الفترة الممتدّة من العهد البروسي أربعينات وخمسينات القرن التاسع عشر وحتى قيام الرايخ عُرفت بفترة الطغيان اليوناني، وبخاصة لأولئك الذين اتصلوا مع الشرق وشرق المتوسط تحديدا. فقد نشأ جيل على أفكار تمجد الحضارة الإغريقية وتقدمها على غيرها، ومن ثم الصورة المثالية لما تعود عليه الألماني حتى أنهم اعتبروا اليونانية الحديثة لا تعبر عن الإغريقية القديمة، فالنظرة فوقية لرجال مفعمين بالعقلية الإمبريالية الألمانية، وأفضل تعبير عن ذلك قول جوستاف همبرت (**Gustaw Humbert**) المستشار الألماني في أزمير 1910–1915م: "... لا أفهم ما يقوله اليونان إنها غير ما تعودت عليه، أصواتها القديمة أجمل، ما هذه الأصوات هذه الأيام! اليونانية هذه الأيام لا تعني شيئا" (Fuhrmann, 2013). فالاتجاهات للعقلية السائدة في المجتمع الألماني هي الأيدولوجيا المنبثّة ضمنيا التي لا يستطيع أيّ مجتمع أن ينجو منها مهما بلغت درجة علمية القائمين على هذه الدراسات وحياديتهم (رودنسون، 2016).

شعر الألمان أن الحضارة الإغريقية مكون أساسي في نضجهم القومي، وسعوا إلى تأكيد هذا الاعتقاد وتأصيله من خلال بناء متحف لا يقل أهمية عن متحف اللوفر في باريس أو متحف لندن، فقاموا ببناء متحف بيرجمون (**Der Pergamonaltar**)في برلين الذي عُدّ متحفا إغريقيا بامتياز. ضم المتحف عدد كبير من كنوزَ الشرق، حيث قامت البعثات الدبلوماسية والبعثات الدينية والأثرية الألمانية بجلب المخطوطات والآثار، وأيّ أدوات لها قيمة تاريخية إليه حيث تمّ إعادة تأهيلها وتصنيفها. وقد أُقيم لافتتاح المتحف احتفال مهيب طافت خلاله المواكب تحت عنوان أثينا في عنفوانها (**Athen auf der Spre**) وأصدرت بهذه المناسبة ميدالية الوجهُ الأولُ منها يمثل ملك المملكة الأغريقية إيمانيوس الثاني (**Eumenes II**) تلك المملكة التي قامت في الشطر الآسيوي على مضيق البسفور في منطقة بورجما التركية حاليا، والوجه الآخر يمثل فريدريش الثالث (Marchand, 1996)من سلالة الهوهن تسولرن (**Hohenzollern**) التي ادعى ملوكها أن أصولهم القديمة تعود إلى المملكة الإغريقية في عهد إيمانيوس. وضمن هذا المنحى يستشهد هيومن ببطاقة معايدة تلقاها بسمارك في عيد ميلاده الثمانين ومعها قطعة معدنية أثرية، كتب فيها:" إلى صاحب الفخامة الدوق بسمارك المستشار الحديدي... قطعة النقود المغنيزية تعود إلى سنة 200ق. م التي عثر عليها في قبر بالقرب من معبد أرتميس (في بورجما)... ستكون شاهدة على أن ما قمت به وخلقته هو خالد حتى عودة المسيح..." (Humann, 1971).

2. الصليبية:

سيطرت فكرة مستقبل الدولة الألمانية ودورها العالمي على العديد من المفكرين الألمان، فباول لندينبيرج (**Paul Lindenberg**) الذي رفض العيش في الماضي قائلا "نحن نصنع المستقبل الذي يحمل كما نأمل مهام عظيمة تنتظرنا لوطننا" (Lindenberg, 1902)، عاد إلى الماضي مستحضرا الحملات الصليبية والحملة الصليبية الأولى على وجه الخصوص، التي كان للألمان دور مميز فيها، مسقطا نجاحات فيلهلم الثاني وحكومته بالتغلغل بأراضي الدولة العثمانية بما قامت عليه الحملات الصليبية؛ فهذه النجاحات يجب مباركتها كما تمت مباركة تلك الحملات من قبل البابا ويجب أن تكون تحت رعاية الكنيسة الكاثوليكية لتحرير الأرض المقدسة من الكفار.(Lindenberg, 1902)

فإذا كانت تلك الحملات قد سارت لهدف مقدس فإن جهود فيلهلم ترنو لهدف أسمى؛ نشر الرؤية الجديدة لرسالة الحضارة الألمانية التي تتضمن نشر السكك الحديدية والمدارس والنهوض بالتجارة والعلم والتكنولوجيا. ويؤكد ليدينبيرج:" الذكريات الألمانية

مرتبطة بهذا المكان – مضيق البسفور– منذ زمن بعيد في عيد الإيستر سنة 1190م، القيصر بربروسا مر من هنا على رأس الجيش الصليبي قاطعا المياه إلى البر الآسيوي متجها إلى القدس التي لم يصلها... مرت قرون الواحد تلو الآخر والأراضي التي مر بها الفرسان الألمان تم نسيانها... عندما يضرب الفلاح التركي هذه الأرض تظهر له بقايا شاحبة للحية حمراء تعود للرفاق الأبطال للهوهن شتوافن **(Hohenstaufen)**– أسرة حكمت ألمانيا (1138– 1208م) وفرع آخر حكم صقلية (1266–1194م) – أو يظهر له صليب على شاهد قبر لفارس من الفرسان... ولكن يوما ما الألمان أنفسهم يدخلون أنتوليا يسيرون على نفس الطريق الذي سار عليه الصليبيون، لكن لايحملون معهم أسلحة... يحملون كل أدوات الميكانيكا وجيش من العمال الصناعيين الذين يحفرون ويبنون ويمدون الجسور على المنحدرات والأنهار يحفرون الأنفاق في الجبال... جلبوا حياة جديدة من خلال القاطرات التي تنفخ مزمجرة في أرض منسية كانت خصبة في عهد الرومان والإغريق... النصر الجديد في سكة حديد أنتوليا التي يديرها بشكل شبه كامل الألمان..."(Lindenberg, 1902) .

رابعا. صورة الشرق الغارق في اللذات:

تناول الأدب الألماني منذ القرن الثامن عشر فكرة بناء الإمبراطورية الاستعمارية الألمانية بصورة الفارس الفحل المفتول العضلات مقابل الفتاة الغارقة في سباتها وعذريتها التي تعج شهوة وافتتانا بهذا الفحل، هذه الرغبات كانت تعيش في ذهنية مختمرة كانت مسؤولة على نحو ما عن فكرة التطلعات الاستعمارية الألمانية، فالمستشرقون الألمان استخدموا سيكولوجية اللغة في وصفهم للدولة العثمانية والشرق القديم الذي يفيض لبنا وعسلا، فأسطورة الشخصية الإغريقية والصليبية لعبت هذا الدور في رسم هذه الصورة وجذب الاهتمام تحقيقا للمصالح الألمانية داخل الدولة العثمانية (Lindenberg,1902).

نظر الألمان إلى الرجل المريض(الدولة العثمانية) على أنه غارق في الخمول وهذه الأرض التي يسيطر عليها عانقت الأحلام التوسعية المتخيلة للشرق، فجولتز **(Colmar von der Goltz)** 1843–1916م أو كما عرف جولتز باشا قدم وصفا لماسدونيا في أيار 1893م، وبالرغم من فقر المنطقة إلا أنها ذكرته بريف شمال أوروبا بالذات شرق بروسيا، ناظرا إليها بحنين وكأنه يقول إن من يأتي إلى هنا لن يشعر بفرق، فهذه المدينة الفقيرة يمكن أن تكون كما المدن البروسية ولكنها مهملة، فمعظم الرحالة القادمون من الغرب نظروا إلى مدن الشرق على أنها دون مدنهم واحتقروا الأتراك الذين يتعلّمون في أوروبا لأنهم لم يعملوا على تقليدهم. ولا يمكننا أن نلوم جولتز على مبالغته في الشعور بسحر المكان وغرائبيته، فإن المشكلة ليست في اكتشاف أرض مجهولة وإخضاعها وإنما في محاولته إيجادَ علاقة طبيعية ولا تاريخية (أي خارج التاريخ) لأرواح متآلفة بين هذه الأرض وألمانيا، أي أنه يصف الإمبراطورية العثمانية بأنّها وطنه (أرض ألمانية). وبما أن مفهوم الوطن يعود للفترة الرومانسية وهو نقيض الحديث وضد المدنية، فقد أصبحت هذه الاكتشافات للوطن معروفة ومتبعة عند العديد من الرحالة ونجدها في وصفهم للطبيعة والمدن الصغيرة والقرى، وهذه الطبيعة الرومانسية المثالية جمعت تناقضين، ألمانيا المدنية الفتية التي بقيت طاهرة رغم إغراءات الحداثة (Fuhrmann, 2013).

لم تسوّغ هذه الصور النمطية –الدونكشوتية– شرعية المشروع الألماني للسيطرة على الدولة العثمانية فقط بل سوّغت الهيمنة المباشرة والشخصية على السكان، فالعلاقة بين الألمان والأناضوليين هي علاقة أضداد، فالألماني هو الوصي المحسن والتركي هو الطفل الذي يُقبِل بعرفان على التعلم وعطايا التطور التكنولوجي، ولكن أنصار التوسع الألماني تصوروا وجود ألماني يعكس قوتها الكولونية حيث يقوم العمال المحليون بالعمل في المنشآت الألمانية، والألمان هم السادة الذين حاولوا أن يصوروا أنفسهم على أنهم سادة متحضرون، فالأفكار الشائعة كانت تؤكد أولوية النموذج الألماني وتفوقه مترافقة مع وجود نوع من العنصرية والمثالية الدينية (Fuhrmann,2013).

خامسا. المسألة الشرقية:

كان اسم الشرق مرادفًا للدولة العثمانية عند معظم الناطقين بالألمانية في وسط أوروبا خلال القرن التاسع عشر، وانتشر رأي عام بين الألمان مفاده أن معظم مشكلات السلطان العثماني أساسها دول الجوار، فبطء الصحوة العثمانية وانعكاساتها على سياسات الدول العظمى قد دفع المعاصرين من المؤرخين لإطلاق مصطلح المسألة الشرقية **(Die Orientalische Frage)** الذي لم يكن مصطلحًا جغرافيًّا مشتركًا فوفق يربط ما بين الفهم الألماني للشرق والدولة العثمانية، وإنما دخل المفهوم كمكون أساسي من مكونات الأمن القومي الألماني (Reinkowski, 2008).

فالجهود المتواضعة التي بذلتها بروسيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر في مجال تعزيز مصالحها في الدولة العثمانية كانت – بدرجة ما– تدخل ضمن الندّيّة والعلاقات المتساوية. وفي عهد بسمارك كانت ثروات الدولة العثمانية وتقلبات المسألة الشرقية مؤثرة بشكل مباشر على التحركات الألمانية في مجال السياسة الخارجية، فقد استخدم ورقة الدولة العثمانية كحصن وطعم، وبنفس الوقت سمح للألمان بشكل فردي بالتوجه للدولة العثمانية؛ رحالة وعلماء ومستثمرين ومهندسين وغيرهم، معتبرا المسألة الشرقية وسيلة لتشتيت الانتباه عما يجري داخل الدولة الألمانية وصراعها مع دول الجوار وبخاصة النمسا وفرنسا، وذلك بإشعال نيران المسألة الشرقية على اعتبار أن ألمانيا حَكَم محايد لا مصالح مباشرة ولا أطماع لها فيها، ممّا يحتّم ضرورة وجود هذا الحكم والوسيط النزيه. وفي هذا قال بسمارك في مطلع 1875م:"الدول المتصارعة سوف تدعونا لنتوسط... في هذه الحالة نأتي إلى نار مشتعلة لا علاقة لنا بها ندفئ أيدينا عليها لأطول فترة ممكنة..." (Geiss, 1978).

كانت جذور هذا التوجه معالجات واستحقاقات قامت بها الدولة البروسية في تعاطيها مع المسألة الشرقية في حرب القرم 1856م ونتائجها، عبر محاولات التقرب واسترضاء الروس وتقديم الوعد بإعادة النظر في حرية الملاحة الروسية في مضيق البسفور والدردنيل. وبعد الانتصار الكبير لبروسيا على النمسا 1866م استمر بسمارك بمنهجه السابق المتحالف مع الروس ومحاولات استرضائهم على حساب الدولة العثمانية وبخاصة بعد هزيمة فرنسا 1870م، فكانت سنة 1871م آخر سنة تدعم فيها ألمانيا روسيا في المسألة الشرقية. فقد عملت على استرضاء الإمبراطورية النمساوية المجرية، ووقفت إلى جانبها بطريقة غير مباشرة وبخاصة في منطقة البلقان التي أسفرت عن تدعيم النفوذ النمساوي في البوسنة (Mosse, 1963).

بقيت الدولة العثمانية جوهر السياسات البسماركية كورقة مساومة رابحة، فخلال الأزمة الكبرى 1875–1878م، وعند قيام الانتفاضات البلقانية أعيد فتح باب المسألة الشرقية على مصراعيه، فعمل على تعزيز الصراع ما بين القوى الكبرى مع تجنب استعداء روسيا، فجرى الاتفاق سرا (اتفاقية بوخرست) ما بين روسيا والنمسا سنة 1877م الذي تضمن سيطرة النمسا على البوسنة مقابل الدعم النمساوي لروسيا في حربها ضد الدولة العثمانية، وكان مؤتمر برلين إنجازا من إنجازات بسمارك، فقد سلمت الدول الكبرى كما خطط بسمارك الراية له لقيادتها نحو السلام والاستقرار (الارناؤوط، 2016).

كانت التصورات المطروحة متناقضة وتدور حول مستقبل المنطقة والنظام السياسي الجديد في البلقان واحتمالات خروج الدولة العثمانية من أوروبا، فبسمارك الذي عبر في بداية الأزمة عن حيادية ظاهرة ومسار حذر أعلن في الرايخستاج (**Reichstag**)– البرلمان الألماني– في الخامس من تشرين الثاني 1876م:" أن الشرق كله لا يستحق عظمة جندي بافاري". فالنار التي أراد أن يدفيء يديه عليها سرعان ما وجدت لها منافذ على الداخل الألماني، وبخاصة بعد وصول الأخبار التي تواردت حول خلع السلطان العثماني عبد العزيز من قبل المدارس الدينية وما سمي بمذبحة سلونيك، فالقصة الرومانسية التي تحمل لليوم الحساسية ذاتها: ارتباط فتاة بلغارية بشاب مسلم وتدخل القناصل: الأمريكي والألماني والفرنسي، حشود غاضبة من المسلمين الذين تجمعوا في المسجد الكبير، فكانت النتيجة هجوم الجموع وتعرض القنصلين الفرنسي والألماني للقتل على يد هذه الجموع في سلونيك.(Shaw, 1977)

أكد بسمارك أن الحادثة محلية وليست حدثا دوليا، وفي الوقت نفسه أرسل برقية احتجاج قوية وطلب من السلطات العثمانية سرعة تقديم المجرمين للعدالة لتهدئة الخواطر. في حين أن الدول الأخرى اعتبرت الحادثة غير عادية وأرسلت سفنها الحربية مهددة ومتوعدة (Shaw,1977). وانتشرت في الصحافة الألمانية على إثر هذه الحادثة مفاهيم جديدة أبرزها: أهوال بلغاريا، مذابح المسيحيين في البلقان، العنف الإسلامي، وأصبح مصطلح (العنف الإسلامي) هو المصطلح المنتشر في أوروبا الذي يوازي حاليا مصطلح الإرهاب، وأول من استخدمه القنصل الألماني لوصف المجرمين في سالونيك، ولكن سرعان ما انتشر على صعيد القارة الأوروبية ليعني: القاتل، والمثير للرعب، والسارق. وفي الوقت نفسه دعت صحيفة دي بوست الألمانية **(Die Post)** إلى طرد الأتراك من أوروبا مدعيةً أن الرأي العام الأوروبي جميعه يقف وراء المسيحيين في معاناتهم (Chasegummer, 2010).

وانعكس هذا التوجه على الصحافة الألمانية فعلى سبيل المثال الصحيفة الكولونية **(Kölnishe Zeitung)** رفضت التعاطف مع طرفي النزاع، فالمسألة ليست عاطفية؛ إنها مسألة انتهاء الحكم العثماني وأثره على أوروبا، يجب أن نسأل: هل تستحق شعوب السلاف والصرب واليونان والبلغار وغيرهم من الشعوب المسيحية مثل هذا التعاطف؟ فالأتراك شعب آسيوي أجنبي في أوروبا، ولكن القتل واللصوصية لا تعطي من يحملون الصليب امتيازا في النهاية. فيما بدأت صحف أخرى بنشر المكونات الإثنوغرافية في الأراضي البلغارية جنبا إلى جنب مع خرائط توضح مناطق الاختلاط ما بين المسلمين والمسيحيين الذين يعيشون في أحياء متلاصقة (Chasegummer, 2010).

ونشر كارل فيسبدن1822– 1893 1877 **(Karl Braun Wiesbaden)** – وهو من يسار الجناح الليبرالي القومي– كتابه

"رحلة في تركيا1876م " .(Wiesbaden,1876) حيث لاحظ أن معظم الناس يأملون إذلالا للترك ويدعون لطردهم من أوروبا. ويذكر أنه كتب هذا الكتاب لتحذير القراء والرأي العام الألماني من الأحداث المأساوية في البلقان، متسائلا: من الذي سيحل محل الأتراك في جنوب شرق أوروبا؟ فالقادم أسوأ بكثير لكل أوروبا وللثقافة الغربية، وأضاف: "هزّ الناس رؤوسهم ودعوني بالمتعاطف مع الترك". كان تأثير فايسبادن كبيرا على محرري الصحف، وظهرت الأسئلة التي أثارتها عناوينَ لتلك الصحف: ما الذي سيحدث لأراضي الدولة العثمانية؟ إنه مستقبل الدول والأمم! فايسبادن أبرز المخاوف والعواقب الوخيمة لانطلاق القومية في البلقان وآثارها المدمرة على الرايخ الألماني (Chasegummer,2010).

عاد فايسبادن في الجزء الثاني من كتابه 1877م ليتصدر الواجهة من جديد، معتبرا أن اجتثاث الأتراك من أوروبا شبه مستحيل، ومعتقدا أن القومية في البلقان هي استبدال الشيطان برئيس الشياطين، وأنها سوف تؤدي إلى حرب أهلية. شنّ هاينريش فون تريتشكه 1834–1896م **(Heinrich von Treitschke)** – مؤرخ وسياسي ألماني من اليمين القومي الليبرالي شغل مقعدا في الرايخ ستاج(البرلمان) من 1871– 1884م، وله العديد من المؤلفات أبرزها: التاريخ الألماني – هجوما عنيفا على فايسبادن معتبرا أن التجانس الثقافي في وسط أوروبا يتطلب طرد الجحافل الآسيوية من أوروبا، فالحكم العثماني الظالم يقف أمام الحداثة برموزها: الدولة القومية والجيش النظامي والسلطة المركزية .(Frenken,1997)

سادسا. مظاهر التغلغل الألماني في الدولة العثمانية:

سبق الاستشراق التغلغل الألماني في الدولة العثماني، فاتجهت السياسة الألمانية خلال الثمانينات من القرن التاسع عشر نحو مزيد من التقارب وتعزيز المصالح مع الدولة العثمانية، متحررة من الواقعية وسياسة الحذر نحو ما يمكن أن نسميه التغلغل السلمي لبسمارك؛ فقد نما التوسع الألماني من مشاريع صغيرة تقف خلف القوى الكبرى نحو الدخول بمشاريع كبرى متزامنة مع نمو الصناعة الألمانية؛ لذا كان الانسياب السلس دون معارضة من القوى الكبرى أو الدولة العثمانية نفسها عنوان المرحلة. وهذا ما نجده في معالجة مسألة الدين العثماني العام بعد مؤتمر برلين، فقد عين يوسف فيتندورف **(Josef Wettendorf)** رئيسا لتلك اللجنة وأضحى الموظفون الألمان خلال فترة بسيطة 1880–1883م من أوثق المستشارين لدى العثمانيين، ونشطت خلال هذه المرحلة الشركات الألمانية والدائنون الألمان وعلى رأسهم جيرسون فون بلايشرودر **(Gerson von Bleichroder)**الذي حصل على امتياز للسكك الحديدية لمورتز فون هيريش(**Moritz von Heirich**). وساعد بسمارك وحكومته رودر للسيطرة على شركة التبغ العثمانية (Pamuk,1978 ; سنّو، 2007). مستغلين الأحكام والأوامر الاقتصادية التي وجدت خلال معاهدات الامتيازات الأجنبية، التي مكنت التجار الاجانب داخل الدولة العثمانية بفوقية زائدة عن العثمانيين سواء كانت دينية أو سياسية أو حقوقية وكانت سببا في اضعاف الاقتصاد العثماني. (العريض،1997).

عين بسمارك القنصل رادوفيتس **(Radowitz)** 1883–1892م، تنفيذا لسياسة الاندفاع السلمي وعدم الاصطدام مع الدول الكبرى، وقد نجح رادوفيتس إلى حد كبير في تطبيقها بالرغم من وجود العديد من العقبات؛ فقد ظهرت فرص جديدة أتاحت عهدا ذهبيا للأسلحة الألمانية في السوق العثماني، فقد أمر السلطان عبد الحميد سنة 1885م بثلاثة عشر مليون مارك لشراء أسلحة للمدفعية من شركة كروب، وحصلت شركة مينشهاوسن **(Menschausen)** على أحد عشر مليون مارك، وحصلت شركة ماوسير– لوفا على أثني عشر مليون مارك لشراء بنادق ومدافع صغيرة (Chasegummer, 2010). وأدى هذا النمو إلى الاصطدام مع السياسة الحذرة التي مارسها بسمارك، فمساعي مدير البنك الألماني للحصول على امتياز سكة الحديد التي أكد بسمارك أنها صفقة جريئة دفعت رأس المال الألماني إلى العديد من الخطوات الفردية والمغامرة بمتابعتها إلى النهاية. بالرغم من أن بسمارك أكد على أن الدعم هو للحصول على الامتياز وليس ما بعد الحصول عليه، لأنه كان يعي طبيعة مصالح الدول الكبرى وبخاصة بريطانيا وفرنسا، لذا سعى للتأكيد على أن مثل هذه السياسات هي اقتصادية بحتة ولا أطماع سياسية من ورائها (سنّو، 2007).

ورافق بدايات هذا التحول نشاط استشراقي كبير تمثل بالإقبال على تعلم اللغة التركية والعربية، وأضحى إتقانها من موجبات العمل داخل الأراضي العثمانية في ظل الفرص الكبيرة المتاحة، واتجهت موجات وإن كانت بأعداد قليلة نحو الاستيطان في أراضي الدولة العثمانية وبخاصة فلسطين؛ ولم يسعَ الألمان لمنافسة اللغة الفرنسية أو المذهب الكاثوليكي داخل الدولة العثمانية، وجهودهم في هذا المجال كانت متواضعة، وللتدليل على ذلك نورد المثال التالي وإن كان متأخرا في سنة 1913م؛ حيث اشتكى القس المتحدث باسم الكنيسة البروتستانتية في أزمير أوتو شتال **(Otto. H. Stahl)** في مذكرة رفعها للحكومة الألمانية سوء أحوال مدرسته بقوله: "المدرسة التي تم إنشاؤها منذ 1893م بدعم من مدرسين ألمان... ومن وزارة الخارجية الألمانية، المدرسة فشلت في جذب طلبة جدد وأعدادهم

في تناقص، كما أن أثاثها وتجهيزاتها لم تجدد خلال العشرين سنة الماضية، الأربع غرف اثنتان لا يرقيان إلى أي مستوى متقدم وساحة اللعب سيئة صيفا وشتاء... وإذا كان الهدف منها تعليم اللغة الألمانية وإيجاد نخبة عثمانية متعلقة بالثقافة والحضارة الألمانية أو على الأقل مرتبطة بها... فهذا لم يحدث وبخاصة إذا ما تم مقارنتها بالمدارس الأمريكية أو الفرنسية..."(Fuhrmann, 2013) .

سابعا. من التحفظ إلى الاندفاع:عهد فيلهلم الثاني.

كان نجاح بسمارك قد وصل ذروته مع نهاية ثمانينات القرن التاسع عشر، واستطاع أن ينقل ألمانيا لتضطلع بدور محوري وقيادي على مستوى القارة الأوروبية، وتناغم هذا الدور مع تطورها الداخلي العلمي والتقني والصناعي. ووفقا لنظرية المجال الحيوي فإن ألمانيا قد نمت بشكل متسارع لتكون قوة عالمية، باحثة عن دور يوازي الإمكانات الكبيرة لهذه الدولة الفتية مع ما يحمل هذا الدور من احتمالات التصادم مع القوى الكبرى؛ والمرحلة الجديدة لم تكن قادرة على التماهي مع سياسات بسمارك الحذرة، بخاصة مع وصول شخصية تميل إلى الحكم المطلق إلى العرش القيصر فيلهلم الثاني **(Wilhelm II)** 1859–1941م، حاملا معه إيمانه العميق بالدور التاريخي الذي يمكن أن يضطلع به الألمان على الساحة العالمية، فغدت سياسة بسمارك المتحفظة فيما يتعلق بالشرق غير صالحة للمرحلة، وأصبح الرجل المريض – الدولة العثمانية – وتركته الكبيرة محور الاهتمام للإمبراطور الجديد. (Grant, 2002)

أعيد طرح الأسئلة حول مصير الدولة العثمانية مع العهد الجديد، فقد رفضت ألمانيا رفضا قاطعا التقسيم النهائي للدولة العثمانية وحل المسألة الشرقية، وتحولت المسألة الشرقية من ورقة مساومة لتصبح مجالا حيويا مهما للسياسة الألمانية، فقد اعتمدت مبدأ التغلغل السلمي للمشاريع الاقتصادية الكبرى والسيطرة على المفاصل الحيوية لهذا الاقتصاد بخاصة السكك الحديدية والقطاع المالي والعسكري. وتطلب هذا المنحى الجديد نوعا مغايرا من السياسية الخارجية قائمًا على التقارب وادعاء الصداقة والسعي لبناء حليف مستقبلي في ظل منافسة شديدة من قبل فرنسا وبريطانيا وروسيا، لذا قدمت ألمانيا نفسها للعالم الإسلامي على أنها نصير المسلمين وقضاياهم العادلة، وتطلّب هذا أجندة ودعاية ومعرفة تفصيلية بأحوال المسلمين وتوجهاتهم بخاصة مع مطلع القرن العشرين، والدور الكبير الذي لعبه بيكر وغيره من المستشرقين في مسألة تبعية السياسة الخارجية الألمانية وبناء المصالح الاقتصادية وفقا لما يقرره المستشرقون العارفون بأحوال الدولة العثمانية (Fuhrmann, 2013؛ سنّو، 2007).

كانت مظاهر الاندفاع الألماني نحو الدولة العثمانية ظاهرة للعيان، فقد تضاعفت الصادرات الألمانية ما بين 1889– 1898م حوالي أربعة أضعاف؛ من (76.8) مليون مارك إلى (313.8) مليون مارك، وزادت نسبة مساهمة ألمانيا بمشاريع السكك الحديدية لتحتل المرتبة الأولى من بين الدول، واحتل الضباط الألمان المرتبة الأولى على صعيد التدريب العسكري. إلاّ أن ألمانيا بقيت على صعيد التبشير وبناء المدارس والمؤسسات تقف بالمرتبة الأخيرة، فقد بلغت عدد المدارس الفرنسية (530) مدرسة بمجموع طلبة (54) ألف طالب، في حين أن ألمانيا كان لديها (23) مدرسة بمجموع (3000) طالب. وتأسست العديد من مؤسسات البحث العلمي والديني بهدف تدعيم النفوذ الألماني ومنها: الجمعية الألمانية لاستكشاف فلسطين، وجمعية فلسطين الألمانية، وجمعية الشرق الألمانية، والمعهد الألماني للدراسات حول الأراضي المقدسة في القدس، وجمعية الاستشراق في ميونخ، واللجنة الألمانية للشرق الأدنى (سنّو، 2007).

شكّل هذا الموقف الألماني المتعاطف مع الدولة العثمانية خلال العقد الأخير من القرن التاسع عشر– وبخاصة ما تعلق بمذابح الأرمن وحرب اليونان وتطورات المسألة الشرقية في البلقان– تحولا كبيرا على صعيد العلاقات الثنائية، فالانتصار الكبير للدولة العثمانية على اليونان1897م أضحى انتصار العسكرية الألمانية والسلاح الألماني. والدولة العثمانية بفضل المساعدة الألمانية صارت أكثر قدرة على السيطرة على الأوضاع الداخلية وأكثر قدرة على قمع التمرّدات، وهذا ما دفع جولتز باشا لينشر كتابه **(Anatolische Ausflüge)** رحلات في أنتوليا، حيث حاول جولتز من خلال هذا الكتاب أن يقنع الرأي العام الألماني المتعاطف مع الأرمن بأن المهاجرين من البلقان بفعل الأزمة كانوا عمالا جيدين عملوا في مختلف القطاعات الإنتاجية، وذلك ردا على من قال بأن ما حدث للأرمن كان بفعل الغيرة والكسل الذي هو السمة السائدة للفلاحين والعمال المسلمين. وبعد الحرب اليونانية كتب جولتز باشا "الأوراق الأسبوعية العسكرية" – التي طورها فيما بعد على شكل كتاب تمّ نشره– **(Militärische Wochenblatt)** واصفا التنظيمات العسكرية العثمانية الجيدة، وعزا ذلك التطوّر إلى الألمان منذ البعثة البروسية، وفي هذا الكتاب وضع تصوراته لتطوير الجيش وإصلاح الدولة العثمانية كدولة حليفة مستقبلا وفقا للتصورات التي قدم لها حول الوضع السياسي في المنطقة .(Chasegummer, 2010)

ثامنا. زيارة الإمبراطور الألماني إلى الدولة العثمانية:

مثلت زيارة الإمبراطور الألماني فيلهلم الثاني إلى الأراضي المقدسة تتويجا لمرحلة الاندفاع الكامل تجاه الدولة العثمانية، فقد غادر الإمبراطور مكان إقامته في بوتسدام يوم 11تشرين الأول 1898م (Scheffler, 1998)، في رحلة كانت مدتها ستة أسابيع زار خلالها: إسطنبول والقدس وبيروت ودمشق وبعلبك وغيرها من الأماكن. لقد أذهلت هذه الرحلة المراقبين بتجهيزاتها وفخامتها؛ حيث وصل فيلهلم إلى اسطنبول بحراسة البارجتين هيرتا وهيلا يرافقه وزير خارجيته وأفراد من العائلة المالكة والأمراء (سنّو، 1999)، وكان في استقباله السلطان عبد الحميد وكبار رجالات الدولة، والتقى السلطان ثلاث مرات. وقد تزامن وصول الإمبراطور الألماني مع مناقشة مد سكة حديد الأناضول: "فوقت الانتظار انتهى، وإظهار التضامن والتعاطف مع السلطان سوف يساعد المستثمرين الألمان للحصول على امتياز السكة الحديدية ويساعد على تحديد اتجاه السياسة الألمانية" (Scheffler,1998 ; Chasegummer, 2010).

مثلت الزيارة قمة الدعاية الألمانية التي لامست الفكر الشرقي العام التي نمّت عن معرفة عميقة بهذا الشرق البسيط الذي تهيمن عليه مظاهر السلطان وفخامته وأبهته؛ فانتشرت عناوين الصحافة العربية والعثمانية: أكثر ملوك أوروبا نشاطا وحيوية، من أعظم ملوك العالم، إمبراطور بروتستانتي عظيم معروف بالإقدام والشجاعة وشعبه أمة حية، أعز أصدقاء السلطان الأعظم، أخلص الملوك صداقة للذات العالية، عظيم الغرب وعميد أوروبا (سنّو، 2007). في حين أن الصحافة العالمية قد انشغلت بهذه الزيارة، فالصحافة الروسية انتقدتها بشدة، بينما انتقدت الصحافة الفرنسية محاولات فيلهلم الثاني استمالة الكاثوليك والتعدي على الدور الفرنسي في المنطقة (Chasegummer, 2010).

دخل الإمبراطور إلى القدس بزيه العسكري الكامل محاطا بفرسان القديس يوحنا، وكانت الطقوس بروتكولية عالية وتم تقديم مفتاح الكنيسة له بوصفه حاميا لها، وقدم البيشوب إيرنست دراندر **(Ernst Dryander)** عظته في الافتتاح مدعيا أن الله أرسل رسله للقتال في حرب طويلة لاسترجاع القدس، وقدم فيلهلم خطبة ارتجالية أكد فيها أنه ليس حاميا للبروتستانت فقط وإنما هو حام لكل الطوائف المسيحية الأخرى، وأنه يسعى لنشر المحبة والأخوة والسلام خارج حدود الأمة الألمانية والعودة إلى القدس هي عودة للعدل والإنصاف وليس للقوة (Chasegummer, 2010).

أشرعت الزيارة آفاقا جديدة لبناء الصورة الألمانية التي استمرت حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، التي مؤداها أن ألمانيا هي الحامية للدولة العثمانية من براثن الأعداء المتربصين فيها، وأن الإمبراطور هو النصير والداعم للأمة الإسلامية والوفي لخليفة المسلمين، هذه الصورة التي عمل على ترسيخها مستشرقون على علم بالطبيعة والحيثيات الدقيقة للمجتمع العثماني. فقد توقفت العديد من الكتب والمقالات عند محطات الزيارة وحللت خطب الإمبراطور الألماني التي أجمعت على نجاح هذه الزيارة في تحقيق أهدافها ومراميها في بناء المصالح الألمانية التي أنتجت في مطلع القرن العشرين جهادا على النمط الألماني، تمثل في الفتاوى التي حرمت قتال الألمان والنمساويين وحللت قتال الكفار الروس والإنجليز والفرنسيين. وتوهم البعض حتى من الفقهاء أن الرسالة التي بعثها فيلهلم إلى القيصر الروسي منتشيا بحفاوة الاستقبال وشعوره بعظمته الشخصية في القدس على أنه قد دخل الإسلام، عندما قال:" لو أني قدمت إلى هنا بلا دين لكنت دخلت الإسلام..." (سنّو، 2007).

خلاصة:

نختم بما بدأنا به بتأكيد الفرضية: أن المصالح والأطماع الاستعمارية الألمانية قد أسهمت بتطور وازدهار الدراسات الاستشراقية الألمانية وأن العلاقة التي تربط التغلغل الاستعماري بالاستشراق علاقة جدلية، وهذه العلاقة لم تنشأ إلاّ بعد الوحدة الألمانية، فلم يكن للمستشرقين الألمان تطلعات استعمارية خارجية تستلزم منهم موقفا فكريا يسعون إلى تحقيقه؛ لذا اتسمت هذه المرحلة إلى حد بعيد بالعلمية والموضوعية والجدية بتناولها لقضايا الشرق، كما أنها وضعت تقاليد لمدرسة استشراقية عريقة على مستوى القارة الأوروبية والعالم, لتأتي المرحلة الثانية مرحلة شعارها موطأ قدم تحت الشمس؛ أي أن الدولة الألمانية الموحدة لها الحق في أن تدخل السباق الاستعماري ويكون لها حصة مما بقي من خريطة العالم خارج السيطرة الاستعمارية, فقد ساهم الاستشراق الألماني بتعزيز المصالح الألمانية داخل الدولة العثمانية وأسهم في إغراء رأس المال الألماني تجاه الشرق الغارق في اللذة والكسل والخمول عن طريق إمكاناته الطبيعية وفرص الاستثمار.

قدم هذا البحث صورتين متداخلتين: التغلغل والاستشراق في آن واحد، بحيث يصعب الفصل بينهما من ناحية الوظائف والأدوار، وخاصة في مرحلة الربع الأخير من القرن التاسع عشر التي أنتجت صورة نمطية للدولة العثمانية في ذهنية صانع القرار الألماني، وهي صورة الرجل المريض وتركته "المسألة الشرقية"، فالاعتقاد السائد بأن الاستشراق الألماني قد كان بريئا تماما أو العكس هو

ضرب من الوهم، والدولة الألمانية هي نتاج عقلية القرن التاسع عشر الاستعمارية ونتاج تطور الفكر القومي الأوروبي. كما أن الاستشراق الألماني وظف بدرجات متفاوتة في هذه المرحلة لخدمة المصالح الألمانية التي تمخضت في المحصلة النهائية عن توريط العثمانيين في حرب لا ناقة لهم فيها ولا جمل.

ونؤكد على ترافق وتزامن الاستشراق مع التغلغل من حيث الوظائف والأدوار، هذا التزامن الذي جعل من الدولة الألمانية اللعب الرئيس على مسرح الأحداث في السياسة العثمانية، ومكن الألمان من بناء سلس لمصالحها بمباركة رسمية وشعبية عثمانية، وما كان هذا ليتم دون دور للمدرسة الاستشراقية الألمانية، ليكون التحالف في الحرب العالمية الأولى محصلة ناتجة عن التغلغل. ومن جانب آخر فالاستشراق الألماني خلال فترة الدراسة وظف توظيفا جيدا على مستوى الداخل الألماني في تحفيز الاستثمار الألماني وأوجد نوعا من التعاطف الداخلي مع القضية العثمانية. ولا ننسى الصورة العثمانية المعجبة بالنموذج الألماني لدى السياسيين والعسكريين العثمانيين وحتى لدى الفئات الشعبية التي ظلت تنظر إلى الألمان أنصارا مخلصين للسلطان.

طور الألمان مع مطلع القرن العشرين الاستشراق وأضحى مع مدرسة بيكر كشاف متقدم مرتبط بالدولة الألمانية ومصالحها الاستعمارية لإنارة طريقها في الشرق، ولعبت مدرسة اللغات الشرقية في برلين وغيرها هذا الدور، فهزيمة ألمانيا في الحرب فكّت طموحات الاستشراق الألماني ليعود إلى سابق عهده إبّان الحكم النازي الباحث عن مجال حيوي في وسط أوروبا. كما كانت فكرة الجهاد المقدس على النمط الألماني لها أسس تعد دليلا على نجاح المستشرقين الألمان بتهيج الشعوب الإسلامية والسلطان للحرب المقدسة ضد الكفار, وكان هذا الأمر واضح خلال زيارة القيصر الألماني للدولة العثمانية، حيث غدا القيصر ودولته النصير والحامي للسلطان ورعيته.

المصادر والمراجع

المعجم الوسيط، (د.ت) إخراج: إبراهيم أنيس وآخرين، ط2، بيروت:دار الفكر، ج2، ص659.

الأرناؤوط، م.(2016) "الحرب التي يمكن أن تندلع عام 1913: الخلفية البلقانية لاندلاع الحرب العالمية الأولى في عام 1914".ص31–60، مجموعة مؤلفين، مئة عام على الحرب العالمية الأولى: مقاربات عربية. 2مج، مج1، بيروت: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ص 45–47.

بارت، ر.(1967) الدراسات الإسلامية في الجامعات الألمانية، تر: مصطفى ماهر، القاهرة: د.ن، ص11–18.

بيطار، ز.(1992) الاستشراق الفرنسي في الفن الرومانسي الفرنسي،سلسلة عالم المعرفة، عدد: 157، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، يناير،ص2–7.

جرنوت، ر.(د.ت) "الدراسات العربية والإسلامية في جامعة توبنجن"، من كتاب: الاستشراق الألماني: الدراسات العربية والإسلامية بجامعة توبنجن، بمناسبة الأسبوع الثقافي الألماني العربي 9–14 أيلول 1974م. تر:كمال رضوان، بيروت: دار صادر، ص10، 39–43.

جورافيسكي، أ. (1996) الإسلام والمسيحية، تر: خلف محمد الجراد، سلسلة عالم المعرفة، عدد: 215، الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون، تشرين الثاني، ص97–104.

حميش،س. (1991) الاستشراق في أفق انسداده. ط1، الرباط: المجلس القومي للثقافة العربية، ص7–8.

أبو خليل، ش.(1998)، الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين. ط1، بيروت: دار الفكر المعاصر، ص5–6.

رودنسون، م.(2016) "الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا"،من كتاب: محمد أركون وآخرون، الاستشراق: بين دعاته ومعارضيه، ط2، بيروت: دار الساقي، ص43–44.

زقزوق، م.(1997) الاستشراق والخلفية التاريخية للصراع الحضاري، القاهرة: دار المعارف، ص11، 46.

الساموك، س.(2003) الوجيز في علم الاستشراق. ط1، عمان: دار المناهج، ص15–16.

سعيد، إ. (2006)، الاستشراق: المفاهيم الغربية للاستشراق. تر: محمد العناني، ط2، القاهرة: دار رؤية للنشر، ص45–68.

سنّو، ع. (2007) ألمانيا والإسلام في القرنين التاسع عشر والعشرين، ط1، بيروت: الفرات للنشر والتوزيع، ص2، 37–40، 41–61، 155.

سنّو، ع. (1999) " رحلة إمبراطور ألمانيا وليم الثاني إلى الشرق في مرآة الصحافة العربية المعاصرة"، تاريخ العرب والعالم. بيروت:180، ص1–17.

ظافر، ي. (1997)، " الاستشراق الألماني إلى أين؟ حوار مع المستشرق الألماني هارتموت بوبتسين"، مجلة التراث العربي،ع: 68، السنة السابعة عشرة، آب، اتحاد الكتاب العرب– دمشق، نسخة إلكترونية، ص1–11.
http://archive.sakhrit.co/authorsArticles.aspx?AID=38726

عمايرة، أ.(1992) الجذور التاريخية للظاهرة الاستشراقية. ط2، عمان: دار حنين، ص56–57.
العريض، و.(1997) "تاريخ الامتيازات العثمانية وآثارها"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي – الجامعة الأردنية، مج 24، عدد 1، ص145–174.
فوك، ي.(2014) تاريخ حركة الاستشراق: الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا حتى بداية القرن العشرين. تر: عمر لطفي العالم.عمان: وزارة الثقافة، ص15.
القويزاني، م. (2004) "تأثير النظرة الاستشراقية للشرق على كُتّاب عصر النهضة"، دراسات، العلوم الإنسانية والاجتماعية، عمادة البحث العلمي – الجامعة الأردنية، مج 31، عدد 2، ص 322–333.
لويس، ب.(1994) الإسلام والغرب، ط1، بيروت: دار رشيد، ص 19–20، 44–46.
محافظة، ع. (1981) العلاقات الألمانية – الفلسطينية: من إنشاء مطرانية القدس البروتستنتية وحتى نهاية الحرب العالمية الثانية 1841–1945م، ط1، بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص11–133.
المطوري، م. (2015) " الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية: تاريخ الاستشراق الألماني وملامح أسسه المنهجية"، مجلة دراسات استشراقية، عدد 3، شتاء، ص 193–195.
هارمان، أ. (1983) "الاستشراق الألماني"، مجلة الباحث، عدد 25، شباط، ص145.
Chasegummer,S. (2010) "The Politics of Sympathy: German Turcophilism and the Ottoman Empire in the Age of the Mass Media 1871-1914", Adissertation Submitted to the Faculty of the School of Arts and Sciences Of Georgetown University, Washington DC, December 9, p.47-48, 157-163, 234-236, 239-240.
Frenken, A. (1997) "Heinrich von Treitschke: Biographisch-Bibliographisches Kirchenlexikon (BBKL)". Band 12, Bautz: Herzberg, p.167.
Fuhrmann, M. (2013) "Our new and great cultural missions in the Orient: German Faith- based and secular missionary activities in the late Ottman Emppire" Religion, Identity and Politics: Germany and Turkey in Interaction, edited, Haldun Gülalp, Günter Seufert, E-Book,New York: Rutledge, p. 3-4, 5, 11-12, 13-14, 47. www.tandfebooks.com/isbn/9780203100660
Fuhrmann, M. (2006) "Visions of Germany in Turkey: Legitimatizing German Imperialist penetration of the Ottoman Empire". (Accessed September 29, European Studies Center, St. Antony's College, Oxford.12 pages, p. 3- 4.
Geiss, I. (1978) Das Deutsche Reich und Streben Vorgeschichte des Ersten Weltkrieges (München/Wien: Taschenbuchausgabe, p.80
Grant, J. (2002)"The Sword of the Sultan: Ottoman Arms Imports, 1854-1914" Journal of Military History Vol. 66, No. 1, p.23-24.
Hallgarten,G. (1963) Imperialismus vor 1914. Die soziologischen Grundlagen der Außenpolitik europäischer Großmächte vor dem Ersten Weltkrieg. 2 Bände, 2. Aufl, München: C. H. Beck, bande, 1, p.44-46
Herman, J. (2014)"Carl Heinrich Becker and the Making of the Modern Orient." USA, Thesis, Georgia State University, p.2ff.
Humann, C. (1971) Der Entdecker des Weltwunders von Pergamon. In Zeugnissen seiner Zeit 1839 - 1896. In: Schriften der Hermann-Bröckelschen-Stiftung Carl Humann zum Gedächtnis Essen an der Ruhr, Band III). Herausgegeben von Eduard Schulte, Dortmund Herausgeber, Ardey Verlag, p.54-55.
Reinkowski, M. und H. Kramer, (2008) Die Türkei und Europa: Eine wechselhafte Beziehungsgeschichte. Stuttgart: Kohlhammer, p. 56-61.
Lindenberg, P.(1902) Auf deutschen Pfaden im Orient. Berlin: Dümmlers Verlagsbuchhandlung, p.147-176, 190-191,201.
Marchand, S.(1996) Down from Olympus: Archaeology and Philhellenism in Germany, 1750-1970. Princeton: Princeton University Press, p. 190
Mosse,W.(1963) The Rise and Fall of the Crimean System, 1855-1871. London: Macmillan, p. 132-156
Pamuk, S. (1987) The Ottoman Empire and European Capitalism London: Cambridge University Press,p.57-61.

Shaw, S. and E. Shaw(1977) History of the Ottoman Empire and Modern Turkey, Reform, Revolution and Republic: The Rise of Modern Turkey, 1808-1975, vol. 2, London: Cambridge University press, p. 93-95

Scheffler, T.(1998) "The Kaiser in Baalbek: Tourism, archaeology, and the politics of imaginations"35pages,p.1-2.

http://www.orientinstitut.org/fileadmin/user_upload/ SCHEFFLER_ 1998__ The_ Kaiser_ in_ Baalbek__ BTS_ 69.pdf

Wiesbaden, K.(1876), Eine Türkische Reise, 3 bände, Stuttgart: Verlag von August Auerbach, 1876-1877.bande 1,p.5ff.

German Orientalism and Infiltration in the Ottoman Empire: A Study of Functions and Roles of the German Orientalism in the Last Quarter of the Nineteenth Century

Amjad Ahmad Alzoubi*

ABSTRACT

The expansion of the Western colonialism came at the expense of the East, and it was manifested through the following: the construction of intellectual frameworks that confined the cultures of the colonized nations in colonial limits, the illusion of excellence that painted a colorful image of the West rational, objective, scientific, and wise claims which were supposed to counter those of the East. The relationship between the colonial infiltration and Orientalism is controversial. This relationship was largely based on the transcendent apostolic role of the German nation and its supposedly natural right to build the nation-state and lead the world. The link between infiltration and Orientalism emphasizes their mutual influence in the time period specified here, regardless the positive role that orientalism played in the preservation of Arabic Islamic heritage on the one hand and serving the German colonial ambitions. On the one hand, German Orientalism played a major role in preserving the Arab-Islamic heritage, and on the other hand, it served German orientalist interests and expansionist ambitions.

Keywords: Orientalism, Infiltration, The Eastern Question, The German - Ottoman History.

*. Faculty of Arts and Sciences, Philadelphia University, Jordan. Received on 12/6/2017 and Accepted for Publication on 31/5/2018.